

حوار مؤلم

الأب أنطوان ملكي

هذه القصة حقيقية أما الأسماء فمركّبة.

جاء الأب غيور إلى الأب أمين وقال له: أريد أن أفكّر وإياك بصوت عالٍ. بعد البركة سأله الأب أمين ما لديه فدفع إليه هاتفه وطلب منه أن يتابع الفيديو المفتوح، فتابع الفيديو فيه كاهن وأبناء رعيته يخرجون في زياح الأيقونات في أحد الأثوذكسية ليذهبوا إلى كنيسة مارونية قريبة منهم أثناء خروج جيرانهم الموارنة في زياح الشعانيين، فتندمج المجموعتان في هرج ومرج. لم يُفاجأ الأب أمين بما رأى لأنه كان قد رأى هذا الكاهن نفسه في الماضي يخرج بهذه الرعية نفسها في زياح الشعانيين إلى كنيسة الموارنة نفسها أثناء احتفالها بالفصح الغربي ليؤدّي لهم مع رعيته "المسيح قام" في يوم الشعانيين الأثوذكسي.

رد الأب أمين الهاتف لصاحبه. فقال له الأب غيور "ما تقول؟" فأجابه "وما نفع القول؟ رحم الله أنطاكية!" فقال له غيور باندهاف وبعض الغضب: "أين هو مطرانه؟ لا تقل لي إنه لا يعرف ماذا يجري. لبنان كله رآه قبلاً يشعن على فصح الموارنة. مطارنتنا يدينون واحداً كان منهم وسقط ولما اشتكى عليهم فأدانوه مجدداً. أي خطيئة أكبر؟ جرّ الإدارة الكنسية إلى المحكمة أم جرّ الناس إلى الهرطقة؟ أين هم القاطعون باستقامة كلمة حق؟ أين المجمع؟"

لم يعرف أمين ما هو الجواب المناسب. الفكرة التي كانت تدور في رأسه هي كم غيور يشارك الآن أفكار هذا الكاهن المتألم؟

لا إرادياً اتخذ الأب أمين موقفاً دفاعياً، رغبةً في تبريد الحوار، وقال للأب غيور: "لا تعمم! ليس كل المطارنة مثل بعضهم" فأجاب غيور بغضب ظاهر "أكيد. أنظر هنا مطراناً آخرأ أرسل اليوم إلى كهنته تعميماً يقول حرفياً (وقرأ من هاتفه) 'قدس الآباء الأجلاء، صوم مبارك. يطلب صاحب السيادة المطران (فلان) منكم عدم إستقبال أي إكلييريكي من خارج الأبرشية(مطران، كاهن، شماس) في رعاياكم لأي مناسبة كنسية (قداس، سر، جناز او حديث روعي) قبل إعلام سيادته وأخذ البركة حسب الأصول. 'أسمعت؟ حسب الأصول. هل في الكنيسة أكثر من أصول. هل الأصول في أبرشية تقول بأن كل شيء يجب أن يكون بلياقة وترتيب وبركة المطران، وأن استقبال الإكلييريكيين ليس أمراً عابراً؟ أما في أبرشية أخرى فالأصول تقول بأن كاهناً في رعية يستطيع أن يعلن وحدة على قياس بلديته ويجرّ الأبرياء من رعيته إلى حيث لا ينبغي؟ أين الأصول؟ أيستطيع كاهن مولعٌ بالكاميرا والتقاط الصور أن يوهم الناس بوحدة غير موجودة؟ أنلوم الناس إذا استخفوا بالكنيسة حين يستخف بها الكهنة ويهملها المطارنة؟"

لم يطل صمت الأب غيور إذ أخذ نَفْساً وتابع: "هذا ليس فساداً. إنه إفساد. إنه جرُّ إلى الشر عن سابق تصوّر وتصميم. ويلٌ لمن به تأتي العثرات. أيُّ ويلٍ لهذا الكاهن؟ أيُّ ويلٍ لمطرانه الذي لا يوقفه عند حده؟ أيُّ ويلٍ لكل الكهنة والمطارنة وحتى المؤمنين الذين يدركون أنه على خطأ ويسكتون. ما معنى عدم التوصل إلى أي اتفاق في لجان الحوار المسكوني في حين لأي كاهن في أي رعية الحق في تبني وتطبيق الصيغة المسكونية التي يريد هو أو تريدها خوريته أو يريد بها بعض المتمولين في الرعية؟"

إلى هنا كان الأب أمين يستمع. إنه موافق على كل كلمة لكنه فقد الرجاء بأنطاكية. فتوجّه إلى الأب غيور قائلاً: "يا أخي كم مرة سبق وقلنا كل هذا الكلام. أنا أوافق على كل كلامك لكني أرى أن الأفضل هو أن نكون مثل لوط. أنا أخرج من أنطاكية ولا أنظر ورائي مثل زوجته." فأجاب غيور "لكني أراك هنا". فأجاب أمين "ليس بالضرورة أن يكون الخروج بالرحيل. أنظر إلى الكاهن الذي تصب غضبك عليه. هذا خرج من الأرثوذكسية لكنه ما يزال كاهناً في الكنيسة الأرثوذكسية إلى أن يخرجها إما المجمع أو الموت. أنا أنتظر الموت، أعني موت الجسد. لذا خرجت من هذه الكنيسة التي تنخرها المسكونية والاستنسابية. كل يغني على ليلاه بحجة التدبير فلا يحقق إلا الفوضى. كثيرون يمعنون في المخالفة بحجة الطاعة ولا أعرف من يطيع من."

ساد صمت طويل في نهايته قام الأب غيور ومضى دون أن ينبس بأي كلمة استئذان أو وداع. اتصل بي الأب أمين وسرد لي ما جرى. وفي الختام قال لي: "أنا متألم. لم أكن يوماً أجيد الكتابة. اكتب عن ألمي." فكتبتُ من ألمي.